**فراشة تحتمي بقاتلها**

"تباّ"

كيف يمكن أن نكون موضوعيين ونحن نكتب عن عمل فنيّ نغرق في غرامه وغرام صاحبه؟

ولكن أليس من البلاهة أن نكتب دون الشعور بالحبّ؟

لقد قال لي أحد الأصدقاء المقربين ذات مرّة، أنّه يكتب عن تجارب في الفنّ لسببين لا غير: الأوّل أنّه يكتب حول تجربة صديق حميم، والسبب الثاني أنّه مقتنع بجديّة الممارسة موضوع كتابته. أمّا ونحن نمتلك السببين معا فالأمر في اعتقادي رائع، أو بالأحرى مذهلٌ إلى حدّ الهوس.

اللّعنة،

لن أكون بأيّة حال موضوعيّةً، فأنا في ورطة مضاعفة اسمها شهرزاد الفقيه: صداقة وثيقة ورسومات تحدّث روحي باستمرار.

لقد سمحت لي صداقتي الوطيدة بالرسامة شهرزاد فقيه أن أتابع عن كثب تطوّر تجربتها خلال الثلاث سنوات الأخيرة. تمكّنت الفنّانة من تطوير مسار متفرّد لممارستها خلال فترة وجيزة، بالاعتماد على مزج تقنيتيْ الرسم الخطّي والخيوط المحبّرة. هي تقدّم اليوم معرضا بعنوان "**انسجام**"، يضمّ مجموعة من الأعمال التصويريّة متفاوتة الأحجام ومتنوعة التقنيات. تعالج شهرزاد تيمة مركزيّة في رسوماتها، ألا وهي ضرورة فهم علاقة الإنسان بالطبيعة. أعتقد أنّ ما تقدمه خلال معرضها يندرج ضمن ما يسمى بـ"الفنّ البيئيّ" أو النزعة البيئيّة والتي تدعو إلى استعادة العلاقة الحقيقيّة بين البشر وبيئتهم الأصليّة.

التجأ العديد من الفنّانين المعاصرين خلال العقد الأخير من الزمن إلى التحذير من مخاطر الاستمرار في التطاول على الطبيعة. ازدهرت حركات متعدّدة في الأدب والمسرح والسينما والفنّ التشكيليّ لردّ الاعتبار لكلّ ما يتعلّق بأصولنا البيئيّة. طوّر العديدين صناعة الورق الطبيعيّ يدويّا، واعتمد عدد آخر على مواد طبيعيّة خام لانجاز أعمالهم، كما تناول آخرون مواضيع لنقد الواقع والتحذير من خطورة الأوضاع العالميّة إزاء كلّ التلوّث الذي نواجهه. تشتغل شهرزاد الفقيه هي الأخرى على موضوع يمسّ إنسانيتنا في صميمها، أين تقف المفاهيم على خيط رفيع بين الإنسانية والمسوخيّة.

تجعل الرسّامة من السؤال حول "الانسجام" هو السؤال ذاته الذي يطرحه بعض المفكرين حول "الاختلاف". لذلك لا تحمل الرسومات ذلك الجانب السلس والناعم فحسب، بل جانبا عنيفا و"فجائعيّا" خفيّا، و ربّما كان ذلك سببا في تدفّق كمٍّ هائل من المعاني المتقابلة والمتضاربة أحيانا كثيرة. قال أحد الحكماء اليونان أنّ "الانسجام هو دائما نتاج المتقابلات ولهذا فإنّ الحقيقة الأساسيّة في العالم الطبيعيّ هي الكفاح". تستعمل شهرزاد مشرطها الحاد لقصّ "أجنحة" الطبيعة وتركيبها لاحقا في مشاهد ملحميّة. تستحضر صورا لحشرات صغيرة وملتوية، ثم تستعيد أوراق أشجار يابسة وترسم أوراقا أخرى ملفوفة لتصنع مشهدا مربكا للاختلال الذي يعيشه ويمارسه البشر يوميّا. تحاور رسوماتها الجانب الحيوانيّ فينا وتخاطب مخاطر الغريزيّ العنيف الكامن في النفوس. يتعالق النباتيّ مع الإنساني إلى الحدّ الذي تنتفي معه الفواصل أو الحدود.

أذكر تلك المرّة التي حدثتني فيها صديقتي حول فراشتها الخضراء البيتيّة. كانت شهرزاد تشاركني يوميّاتها مع الفراشة واليد والضوء، إلى حدود صباح يوم أربعاء أسود. توفيت الفراشة وقرّرت صديقتي أن تقيم عزاء محبوبتها في حديقة البيت. لم أشاركها هاجسي في كونها سبب موت الفراشة، فأنا أقدّر حساسيتها المفرطة إزاء الأشياء البسيطة. تذكّرت تلك الرواية العجيبة "كلّ الحيوانات الصغيرة" للكاتب الأسكتلنديّ ووكر هاميلتون حيث كان "العَالِم المختصّ بقشريّات الأجنحة قاتلا للفراشات". أعتقد أنّ شهرزاد تحوّلت منذ تلك اللّحظة إلى "عالمة" بالأمور الصغيرة في الطبيعة، وتحاول بطريقة ما دفن الحيوانات أو الحشرات الصغيرة كما فعل بوبي بطل الرواية لكن لإعادة إحيائها في أثر فنّي.

بدأت الحكاية مع شرنقة. خرجت الفراشات محلّقة لتتقاسم فضاء رسومات شهرزاد مرارا وتكرارا. انتقلت فراشاتها إلى جذوع الأشجار والنباتات والأحجار والجماجم. تحوّلت الفراشات إلى وجوه وإناث وعصافير مثل "القرقف والبوم والعقعق". استحوذت الحلازين والأعشاب والطحالب على الرسومات ليُغيّب كل ما هو إنساني داخل الطبيعيّ. تحوّلت الرؤوس إلى محطّات للحيوانيّ، واستعاد الأنثويّ تاريخه الجنسانيّ المفزع. يتعارض كلّ ذلك مع الصور الحقيقية من الحكاية، مع المدن والسرعة والتلوّث والعنف والخبث والفيروسات والأشرعة والسفن والمعارك. تنتقد شهرزاد ما تمرّ به مجتمعاتنا من برود وأنانيّة واستغلال، وتدعونا إلى التطلّع إلى أصولنا وحقيقتنا البدئيّة علّنا نجد الخلاص.

**نجاة الذهبي**

**فنّانة تشكيليّة وجامعيّة**